جامعة المنصورة
كلية التربية

الاستدلال بحديث الولي على عقيدة الحلول والاتحاد

-عرض ونقد-

إعداد

د/ عالية بنت حسن بن عمر العمودي

أستاذ العقيدة المساعد، كلية الشريعة وأصول الدين، جامعة نجران

مجلة كلية التربية – جامعة المنصورة
العدد ١٣١ – يوليو ٢٠٢٥م

الاستدلال بحديث الولي على عقيدة الحلول والاتحاد -عرض ونقد-

د/ عالية بنت حسن بن عمر العمودي [1]

الملخص:

يهدف البحث إلى: الذب عن سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم من تحريف الغالين وتأويل الجاهلين، ونقد شبهات المخالفين في الاستدلال بحديث الولي على الحلول والاتحاد، وجمع شتات الموضوع في بحث واحد.

وقد استخدمتُ فيه المنهج الوصفي التحليلي.

أهم النتائج: حديث الولي هو الحديث القدسي الوارد في صحيح البخاري وغيره، ونصه: «إِنَّ اللهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ ..»، والحلول والاتحاد يعني أنَّ الله سبحانه وتعالى قد حلّ في جميع أجزاء الكون .. أو بمعنى أنَّ المخلوق عين الخالق، وقد اعترف المتصوفة بافتتانهم بهذا الحديث واشتباهه عليهم، واستدلال بعضهم به على الحلول والاتحاد، ومنهم من استدل به على الفناء الصوفي، وقد فهم القائلون من المتصوفة من الحديث الامتزاج والحلول، وهو فهم خاطئ مخالف للفهم السليم الصحيح للحديث، وخلطوا بين الاتحاد النوعي الوصفي الذي يشير إليه الحديث، وبين الاتحاد الذاتي الذي لا يدل عليه الحديث البتة.

وأوصي الباحثين بالرد على بقية شبهات المتصوفة التي يستدلون بها على الحلول والاتحاد.

الكلمات المفتاحية: حديث الولي، من عادى، الحلول، الاتحاد.

[1] أستاذ العقيدة المساعد، كلية الشريعة وأصول الدين بجامعة نجران،

البريد الالكتروني: ahalamoudi@nu.edu.sa

Inferring the Hadith of al-Wali to Support the Doctrines of Incarnation and Union – A Presentation and Critique

Dr. Aliah bint Hasan bin Omar Al-Amoudi
Assistant Professor of Islamic Creed, Najran University / College of Sharia and Fundamentals of Religion
Email: ahalamoudi@nu.edu.sa

Abstract

This study aims to defend the Sunnah of the Prophet ﷺ from the distortions of extremists and the misinterpretations of the ignorant, to refute the misconceptions of those who use the Ḥadīth of al-Walī as evidence for the doctrines of incarnation (ḥulūl) and union (ittiḥād), and to consolidate the scattered discussions on the topic into one comprehensive study.

The research adopts a descriptive analytical methodology.

Main Findings:

The Ḥadīth of al-Walī is a sacred (qudsī) narration reported in Ṣaḥīḥ al-Bukhārī and other sources. Its text begins: "Indeed, Allah said: Whoever shows enmity to a friend of Mine, I have declared war against him"…

The doctrines of incarnation and union imply that Allah has entered all parts of the universe, or that the created being is identical to the Creator. Some Sufis admitted their fascination with this ḥadīth and their confusion in interpreting it, using it as evidence for incarnation and union, or for the concept of mystical annihilation (fanāʾ.(

Their understanding reflects a mistaken view that confuses the metaphoric or descriptive union suggested by the ḥadīth with an ontological or essential union, which the ḥadīth does not support in any way.

Recommendation:

The author recommends that researchers continue responding to the rest of the Sufi arguments that misuse other texts to justify the doctrines of incarnation and union.

Keywords: Ḥadīth of al-Walī, "Whoever shows enmity," incarnation, union.

المقدمة:

الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل، بقايا من أهل العلم يدعون من ضلّ إلى الهدى، ويَصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصِرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضـــالٍ تائه قد هدوه، فما أحســـن أثرهم على الناس، وأقبح أثر الناس عليهم.

ينفون عن كتاب الله افتراء الغالين، وانتحال المبطلين، وزيغ الجاهلين.

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

فإن من دأب أهل البدع والضلال مخالفة فهم سلف الأمة في تفسير النصوص الشرعية، وتحريف معانيها بما يتوافق مع أهوائهم ومشـــاربهم، ومن ذلك اســـتدلالهم بحديث الولي على عقيدة الحلول والاتحاد، لذا جاء هذا البحث للوقوف على هذه الشبهة وتفنيد أوجه الضلال في الاستدلال بها، وقد أسميته: [الاستدلال بحديث الولي على عقيدة الحلول والاتحاد –عرض ونقد–

أهداف البحث:

١– الذب عن سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم من تحريف الغالين وتأويل الجاهلين.

٢– نقد شبهات المخالفين في الاستدلال بحديث الولي على الحلول والاتحاد.

أهمية البحث:

١– تصحيح الفهم الخاطئ في الاستدلال بالحديث في غير محله.

٢– نسب الآراء للقائلين بهذا القول من أهل الفرق والطوائف دون تعميم أو تهويل.

٣–بيان الموقف الصحيح في فهم الحديث.

منهج البحث:

١– المنهج الوصفي: في شرح الحديث وبيان ألفاظه ومعانيه.

٢– المنهج التحليلي: في تحليل ومناقشـــة أقوال الموافقين والمخالفين من الاســـتدلال بالحديث على الحلول والاتحاد.

مشكلة البحث:

تدور مشكلة البحث حول السؤال الآتي:

ـ هل يدل حديث الولي على الحلول والاتحاد؟

ويتفرع عن ذلك العديد من الأسئلة وهي:

١-ما هو حديث الولي؟

٢-أين وجه الدلالة على الحلول والاتحاد في نظر القائلين بذلك؟

٣-ما صحة فهمهم لهذه الأدلة والجواب عنها؟

الدراسات السابقة:

بعد البحث والتقصي لم أقف على دراسة سابقة درست نفس الفكرة، ولكن وقفت على العديد من الدراسات المشابهة ومنها:

الدراسة الأولى: قطر الولي على حديث الولي، محمد بن علي الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، المحقق: إبراهيم إبراهيم هلال، دار الكتب الحديثة، مصر.

وهذه الدراسة اكتفت بشرح الحديث دون التعرض بالتحديد لشبهات المستدلين بالحديث على الحلول والاتحاد إلا في نزر يسير نقلته في البحث.

الدراسة الثانية: حديث الولي بين مؤيديه ومعارضيه دراسة حديثية موضوعية، محمد صابر عرفه حامد، مجلة كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية، مصر، ٢٠١٢م.

تحدّث هذا البحث عن معنى الولاية، وعصمة الأولياء، والتفاضل بين الأنبياء والأولياء، وخطر معاداة أولياء الله، ولم يتعرض لمسألة الحلول والاتحاد.

خطة البحث:

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: حديث الولي، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: روايات الحديث وحكمه.

المطلب الثاني: معنى الحلول.

المطلب الثالث: معنى الاتحاد.

المبحث الثاني: استدلال المخالفين بحديث الولي على الحلول والفناء، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: استدلال المتصوفة بالحديث على الحلول والاتحاد.

المطلب الثاني: استدلال المتصوفة بالحديث على الفناء.

المبحث الثالث: مناقشـــة المخالفين في الاســـتدلال بحديث الولي على الحلول والاتحاد، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الفهم الخاطئ للحديث.

المطلب الثاني: الخلط بين الاتحاد الوصفي والاتحاد الذاتي.

المطلب الثالث: مآلات قول المتصوفة.

الخاتمة (النتائج والتوصيات).

فهرس المصادر والمراجع.

المبحث الأول: حديث الولي، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: نص حديث الولي وحكمه

روى الإمام البخاري عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَـــيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْـتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَـمْعَهُ الَّذِي يَسْـمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْـتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَـيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ؛ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»[1].

وهذا الحديث قد ورد في صحيح الإمام البخاري الذي اتفق العلماء على أنه أصح كتاب بعد كتاب الله[2]، وبهذا فهو حديث ثابت صحيح، ولهذا قال عنه شيخ الإسلام: "وهذا أصح حديث يروى في الأولياء"[3].

---

[1] صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع حديث رقم: ٦٥٠٢ ، (٨: ١٠٥) .

[2] ينظر: يحيى بن شرف النووي، "المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج". (ط٢، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢هـ)، ١: ١٤.

[3] أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، "مجموع الفتاوى". تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاســم، (د. ط، المدينة النبوية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م)، ١١: ١٦٠.

المطلب الثاني: معنى الحلول

الحلول مشتق من الفعل الثلاثي (حَلَّ)، بمعنى وجب، ومن قوله تعالى: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ." [طه:٨١] [١].

ويأتي بمعنى نزل، ومنه قوله تعالى: ﴿ .....وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [الرعد:٣١] [٢]. كما ورد في اللغة بمعان أخرى مختلفة[٣].

وأما الحلول في الاصطلاح : فهو" عبارة عن اتحاد الجسمين بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر، كحلول ماء الورد في الورد، فيسمى الساري: حالًا، والمسري فيه: محلًا[٤].

إذاً الحلول هو الاتحاد أو الامتزاج لشيئين بحيث يكونا شيئًا واحدًا.

وهذا هو الحلول في نظر غلاة المتصوفة الذين يعرفونه بـ: "أنَّ الله سبحانه وتعالى قد حلّ في جميع أجزاء الكون .. أو بمعنى أنَّ المخلوق عين الخالق"[٥].

يقول أبو الحسن الأشعري: "وفي النساك من الصوفية من يقول بالحلول وأنَّ البارئ يحل في الأشخاص وأنه جائز أنْ يحل في إنسان وسبع وغير ذلك من الأشخاص، وأصحاب هذه المقالة إذا أرادوا شيئًا يستحسنونه قالوا: لا ندري لعل الله حال فيه ومالوا إلى اطراح الشرائع وزعموا أنَّ

---

[١] ينظر: محمد بن أحمد الأزهري، "تهذيب اللغة". تحقيق محمد عوض مرعب، (ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م)، ٣: ٢٨٠.

[٢] ينظر: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، "معجم مقاييس اللغة". تحقيق عبد السلام محمد هارون، (دمشق: دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م)، ٢: ٢٠.

[٣] ينظر: محمد بن مكرم ابن منظور، "لسان العرب". (ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ)، ١١: ١٦٣.

[٤] علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، "التعريفات". ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م)،: ٩٢.

[٥] عبد القادر بن عبد الله عزيزي، "حقائق عن التصوف". (ط١٦، حلب: دار العرفان، ٢٠٠٧م)، ١: ٤٣٤.

الإنســـان ليس عليه فرض ولا يلزمه عبادة إذا وصـــل إلى معبوده"[١]، وهذا النص فيه إثبات عقيدة الحلول عند بعض المتصوفة.

المطلب الثالث: معنى الاتحاد

الاتحاد لغة مشتق من الفعل (اتحد) بمعنى امتزج، ومضارعه يتحد اتحادًا فهو متحد.

والاتحاد في الاصطلاح هو: "تصيير الذاتين واحدة، ولا يكون إلا في العدد من الاثنين فصاعدًا"[٢]، أو "اشتراك أشياء في محمول واحد ذاتي أو عرضي"[٣].

أما في الاصــطلاح الصــوفي فإن الاتحاد هو: "مرتبة شــهود الحق في قلب الســالك فتنمحي الكثرة وتتجلى الوحدة، ويفنى المتناهي في اللامتناهي"[٤].

ويعرفونه بأنه: "الشعور بفناء الصوفي في الله[٥].

ويعرفه الجرجاني بأنه: "شهود الوجود الحق الواحد المطلق، الذي الكل موجود بالحق، فيتحد به الكل من حيث كون كل شيء موجودًا به، معدومًا[٦].

ويقول الغزالي: "فنقول المفهوم من الحلول أمران:

أحدهما: النسبة التي بين الجسم وبين مكانه الذي يكون فيه وذلك لا يكون إلا بين جسمين فالبريء عن معنى الجسمية يستحيل في حقه ذلك

---

[١]علي بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري، "مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين". عناية هلموت ريتر، (فيسبادن: دار فرانز شتايز، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م)، : ١٣.

[٢]الجرجاني، "التعريفات"، : ٨.

[٣]عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، "معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم". تحقيق محمد إبراهيم عبادة، (ط١، القاهرة: مكتبة الآداب، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م)، : ١٣٨.

[٤]محمد بن الشيخ عبد الكريم الكسنزان الحسيني، "موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان". (دمشق: دار المحبة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م)، : ١٧٧.

[٥]الكسنزان، "موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان"، : ١٧٧.

[٦]الكسنزان، "موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان"،: ١٧٧.

والثاني: النسبة التي بين العرض والجوهر فإن العرض يكون قوامه بالجوهر فقد يعبر عنه بأنه حال فيه وذلك محال على كل ما قوامه بنفسه فدع عنك ذكر الرب تعالى وتقدس في هذا المعرض فإن كل ما قوامه بنفسه يستحيل أنْ يحل فيما قوامه بنفسه إلا بطريق المجاورة الواقعة بين الأجسام فلا يتصور الحلول بين عبدين فكيف يتصور بين العبد والرب"[1].

ويتضح من خلال تفسيراتهم للحلول والاتحاد عدة أمور:

الأمر الأول: تقديس هذه المرتبة، والإعلاء من شأنها في الفكر الصوفي.

الأمر الثاني: الفلسفة والغموض في تعريفها بمزجها بالألفاظ الغامضة كالشهود والفناء والمتناهي واللامتناهي.

الأمر الثالث: التأثر بعلم الكلام ومصطلحاته كالعرض والجوهر والأجسام.

ومن هنا يلاحظ المتابع للفكر الصوفي تناقضًا بينهم في نسبة هذه الأفكار للتصوف، فمنهم من ينفي نسبتها للفكر الصوفي[2]، ومنهم من يحاول تأويلها بما يتماشى مع المعقول كما في كلام الغزالي.

"ولولا أن أصحاب هذا القول كثروا وظهروا وانتشروا وهم عند كثير من الناس سادات الأنام ومشايخ الإسلام وأهل التوحيد والتحقيق. وأفضل أهل الطريق حتى فضلوهم على الأنبياء والمرسلين وأكابر مشايخ الدين: لم يكن بنا حاجة إلى بيان فساد هذه الأقوال وإيضاح هذا الضلال. ولكن يعلم أن الضلال لا حد له وأن العقول إذا فسدت: لم يبق لضلالها حد معقول"[3].

---

[1] محمد بن محمد الغزالي الطوسي، "المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى". تحقيق بسام عبد الوهاب الجابي، (قبرص: الجفان والجابي، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م)، : ١٥٥.

[2] ينظر: الكسنزان، "موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان"، : ١٨١، تحت عنوان: (لا حلول ولا اتحاد عند الصوفية).

[3] ابن تيمية، "مجموع الفتاوى"٢: ٣٥٧

ولا خلاف بين الأمة أن من قال بحلول الله في البشر واتحاده به وأن البشر يكون إلها وهذا من الآلهة: فهو كافر مباح الدم"[١] يقول الشيخ عز الدين بن عبد السلام في قواعده الكبرى: "ومن زعم أن الإله يحل في شيء من أجساد الناس أو غيرهم فهو كافر" [٢]

"فالله سبحانه ليس هو خلقه ولا جزء من خلقه ولا صفة لخلقه، بل هو سبحانه وتعالى متميز بنفسه المقدسة، بائن بذاته المعظمة عن مخلوقاته، وبذلك جاءت الكتب الأربعة الإلهية، من التوراة والإنجيل والزبور والقرآن، وعليه فطر الله تعالى عباده، وعلى ذلك دلت العقول." [٣]

[١]ابن تيمية، "مجموع الفتاوى"، ٢: ٤١٨

[٢]عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، الحاوي للفتاوى، (بيروت، دار الفكر، ٢٠٠٤)، ٢: ١٦٠

[٣]ابن تيمية، "مجموع الفتاوى"، ٢: ٤٧٤

المبحث الثاني: استدلال المخالفين بحديث الولي على الحلول والفناء(١)، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: استدلال المتصوفة بالحديث على الحلول والاتحاد.

اعترف المتصـوفة بافتتانهم بهذا الحديث واشـتباهه عليهم، يقول ابن عربي بعد ذكره لحديث الولي[٢]: "ومن هذا التجلي قال من قال بالاتحاد"[٣].

ويقول حامد بن عمر حامد باعلوي[٤] حول حديث الولي: "ولسلفنا من مشائخ الصوفية في هذا الباب فتوحات غيبية وإشارات ذوقية تهتز منها العظام البالية غير أنها لا تصلح إلا لمن سلك سبيلهم فعلم مشربهم وأما غيرهم فلا يؤمن عليه عند سماعها من الأغاليط التي تهوي بصاحبها إلى مهواة الحلول والاتحاد تعالى الله الملك الحق عن صفات المخلوقين ونعوت المربوبين"[٥].

ويقول الباحث في التصوف الفلسفي أبو العلاء عفيفي: "أما الأحاديث النبوية التي ورد فيها ذكر الحب الإلهي، فتتجاوز في عددها ومعانيها ما ورد في القرآن في هذا الصدد، ولا شك أنَّ كثيرًا

---

[١] الفنـــاء في الاصطلاح الصوفي هو: "الغيبة عن الأشياء.. وقيل الفناء أنْ لا ترى شيئًا إلا الله، ولا تعلم إلا الله، وتكون ناسيًا لنفسك ولكل الأشياء سوى الله". عبد المنعم الحفني، "المعجم الصوفي". (ط١، القاهرة: دار الرشاد، ١٤١٧هـ)، :١٩٦.

[٢] وقد أنكر عليه ابن تيمية التقرب بالنوافل قبل الفرائض فقال: "ولهذا وجب التقرب بالفرائض قبل النوافل والتقرب بالنوافل إنما يكون تقربًا إذا فعلت الفرائض لا كما ظنه بعض الاتحادية كصـــاحب " الفتوحات المكية " ونحوه من أن قرب الفرائض يكون بعد قرب النوافل والنوافل تجعل الحق غطاءه وتلك تجعل الحق عينه، فهذا بناء على أصله الفاسد من الاتحاد". ابن تيمية، "مجموع الفتاوى"، ١٧: ١٣٣، وينظر: محمد بن علي ابن عربي، "الفتوحات المكية". (مصدر إلكتروني). ٣:٤٤.

[٣] ابن عربي، "الفتوحات المكية"، ٣: ٤٦٥.

[٤] حامد بن عمر بن حامد بن علوي، متصوف حضرمي، من مؤلفاته: الوصايا الجامعة والمكاتبات النافعة، الأوراد والدعوات الشهيرة، توفي سنة (١٢٠٩هـــ). ينظر: عبد الله بن محمد الحبشي، "مصادر الفكر الإسلامي في اليمن". (د. ط، أبو ظبي: المجمع الثقافي، ٢٠٠٤م)، : ٣٤٤.

[٥] عبد الله بن علوي العطاس، "ظهور الحقائق في بيان الطرائق". (مخطوط)، :٢٣٤.

منها قد وضـــع للتعبير عن الأفكار الصـــوفية التي نمتْ تحت تأثير عوامل خارجية ظهر أثرها في التصـوف منذ منتصـف القرن الثاني الهجري، ومن الأحاديث الصـحيحة التي يكثر الصـوفية من روايتها والتعليق عليها الحديث القدســـي الذي يقول الله تعالى فيه: لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل.."[١].

وبهذا شـهدوا على أنفسـهم بدخول شـبهة الحلول والاتحاد عليهم من خلال الفهم الخاطئ لهذا الحديث، إلا أنه ومن باب الإنصاف فإن المتصوفة لم يكونوا سواء في هذا الفهم، بل إنَّ الغالبية منهم تعارض هذا الفهم وتخالفه، ويمكن تقسيمهم في فهم هذا الحديث إلى طائفتين:

الطائفة الأولى: من قال بالحلول والاتحاد مستدلًا بهذا الحديث.

يقول الغزالي بعد ذكر حديث الولي: "وهذا موضـــع يجب قبض عنان القلم فيه فقد تحزب الناس فيه إلى قاصـرين مالوا إلى التشـبيه الظاهر وإلى غالين مسـرفين جاوزوا حد المناسـبة إلى الاتحاد وقالوا بالحلول حتى قال بعضـــهم أنا الحق"[٢]. ويقول الحافظ ابن حجر عن الحديث: "والاتحادية زعموا أنه على حقيقته، وأنَّ الحق عين العبد، واحتجوا بمجيء جبريل في صـــورة دحية قالوا فهو روحاني خلع صورته وظهر بمظهر البشر، قالوا فالله أقدر على أنْ يظهر في صورة الوجود الكلي أو بعضه، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا"[٣].

فنســـب الحافظ ابن حجر وغيره[٤] هذا القول إلى الاتحادية القائلين به، واســـتدلالهم بهذا الحديث على زعمهم.

---

[١]أبو العلاء عفيفي، "التصـوف: الثورة الروحية في الإسـلام". (د. ط، المملكة المتحدة: مؤسـسـة هنداوي، ٢٠٢٠م)،:١٧٥.

[٢]محمد بن محمد الغزالي، "إحياء علوم الدين". (د. ط، بيروت: دار المعرفة، د. ت)، ٤: ٣٠٧.

[٣]أحمد بن علي ابن حجر، "فتح الباري شـرح صـحيح البخاري". (بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـــ)، ١١: ٣٤٤.

[٤] نسـب هذا القول إلى الاتحادية عدد من شـراح الحديث مثل: محمود بن أحمد العيني، "عمدة القاري شـرح صـــحيح البخاري". (بيروت: دار إحياء التراث العربي،)، ٢٣: ٩٠، و أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني، "إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري". (ط٧، مصر: المطبعة الكبرى الأميرية، ١٣٢٣هـ)،

ونقل الكردي[١] عن علي الحلبي[٢] أنه لا دليل للقائل بهذا الحديث القدســـي، "لأن المتقرب إلى الله تعالى بالنوافل وغيره كالجِعْل [٣] والوزغ والحية في ذلك سواء عند القائل بالحلول والاتحاد، كما يفهمه مدلولهما السابق، فسقط استدلاله لما في هذا الحديث، واتضح أنَّ الصواب من معناه ما ذكره هؤلاء الأئمة الأعلام، وأنَّ الله منزه عما زعمه هؤلاء الطغام، تعالى الله عما يقول الكافرون والجاحدون علوًا كبيرًا"[٤].

الطائفة الثانية: من أنكروا على المتصوفة هذا الاستدلال، ولكنهم عذروهم فيه.

يقول الصــديقي[٥]: "وزعم الحلولية والاتحادية بقاء هذا الكلام على حقيقته وأنه تعالى عين عبده أو حالّ فيه ضـــلال وكفر إجماعًا، وما وقع في عبارات بعض العارفين مما يوهم ذلك فليس

٩: ٢٩٠، و عبيد الله بن محمد المباركفوري، "مرعاة المفاتيح شــرح مشــكاة المصــابيح". (ط٣، بنارس الهند: إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء، الجامعة السلفية، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م)، ٧: ٣٩٠-٣٩١.

[١]محمود بن محمد بن يزيد الكوراني الكردي، متصــوف، له: نصــيحة الأحباب، رســالة في الحكم والمواعظ، السلوك لأبناء الملوك، توفي سنة (١١٩٥هــ). ينظر: خير الدين بن محمود الزركلي، "الأعلام". (ط١٥، بيروت: دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م)، ٧: ١٨٤.

[٢] هو: علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، متصــوف مصــري، له كتاب: إنســان العيون في ســيرة الأمين المأمون، تعريف أهل الإســلام والإيمان بأن محمدًا صــلى الله عليه وســلم لا يخلو منه مكان ولا زمان، مطالع البدور، توفي سنة (١٠٤٤هـ). ينظر: محمد أمين بن فضل الله المحبي، "خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر". (بيروت: دار صادر)، ٣: ١٢٢، الزركلي، "الأعلام"، ٤: ٢٥١.

[٣]الجعل: دويبة قذرة كالخنافس ونحوها. ينظر: ابن منظور، "لسان العرب"، ١٢: ٢٩٩.

[٤] العطاس، "ظهور الحقائق في بيان الطرائق"، :٢٣٥.

[٥]محمد علي بن محمد بن علان البكري الصــديقي، من تصــانيفه: ضــياء الســبيل الى معالم التنزيل، رفع الالتباس ببيان اشتراك معاني الفاتحة وسورة الناس، ورسالة في ختم البخاري، توفي سنة (١٠٥٧هـــ). ينظر: محمد الغزي، "الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة". تحقيق خليل المنصور، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م)، ٣: ٦٠، عمر كحالة، "معجم المؤلفين". (بيروت، دار إحياء التراث العربي)، ١١: ١٧٨.

مرادًا لهم، وفهم ذلك منه من قصـــور فهم الناظر، وإلا فهم مطهرون من ذلك الاعتقاد الفاســـد كما طهرهم الله تعالى بكمال محبته من سائر المفاسد"[١].

ويقول الملا القاري[٢] بعد ذكره لقول الحافظ ابن حجر في الإنكار على الاتحادية

هذا القول[٣]: "ومن هذا يتضـــح لك قاعدة مهمة وهي: أنَّ ما أشـــكل عليك من عبارات الأولياء فإن أمكن تأويلها فبادر إليه كقول أبي يزيد: ليس في الجبة غير الله، فإن لم يمكن فإن صـــدرت في مقام غيبة فلا حرج على قائلها؛ لأنه غير مكلف حينئذ، وكذا إنْ وقع الشـــك في ذلك، وإنْ صـــدرت مع تحقق صـحوه أقيم عليه حكمها الشرعي، إذ الولي ليس بمعصـوم، والمحفوظ ربما فرط منه ما عوتب به ثم عاد إليه حاله"[٤]. ويقول شـــيخ الجفري[٥] مبررًا لهم اســـتدلالهم بهذا الحديث بأنهم: "يتكلمون على لسان القرب الأقدس الذي منحوه المشار إليه بقوله تعالى فإذا أحببته كنت سمعه وبصره وعينه

---

[١]محمد علي ابن علان، "دليل الفالحين لطرق رياض الصـــالحين". (بيروت: دار المعرفة، ٢٠٠٤م)، ٢: ٣١١

[٢]علي بن (سلطان) محمد، نور الدين الملّا الهروي القاري الماتريدي، صنف كتبًا كثيرة، منها: شرح قصيدة بدء الأمالي، في التوحيد، منح الروض الأزهر في شـــرح الفقه الأكبر، الرد على ابن عربيّ في كتابه الفصوص وعلى القائلين بالحلول والاتحاد، توفي سنة (١٠١٤هـ)، ينظر: الزركلي، "الأعلام"، ٥:١٢.

[٣] وينكر القاري نفسـه هذا القول فيقول في شـرح حديث الولي: "وليس المراد منه الحلول والاتحاد والاتصـال على ما توهمه أهل الضـــلال". علي بن محمد القاري، "شـــرح الشـــفا". (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ)، ١: ٤٥٩.

[٤]علي القاري، "مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح". (ط١، بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٢م) ٤: ١٥٤٥.

[٥]شيخ بن محمد بن حسن الجفري، متصـوف حضـرمي، من مؤلفاته: نتيجة إشـكال قضـايا مسـلك جوهر الجواهرية، برهان سـلطان مشـايخ الطريقة العيدروسـية القادرية، مجموع الهفوات الصـادرات من الخيالات الواردات، توفي سنة (١٢٢٢هـ) ينظر: الحبشي، "مصادر الفكر"، : ٣٥٩.

ويده ورجله الحديث ويثبتون لأنفســـهم بطريق الإلهام[١] لا بطريق الحقيقة ما أثبته الحق لنفســـه لا بمعنى الاتحاد الذي هو الكفر والإلحاد حاشاهم عن ذلك"[٢].

بمعنى أنهم حينما يدّعون الدعاوى التي في ظاهرها القول بالحلول والاتحاد فإنهم لا يعنون ذلك، وإنما يتكلمون بلسان القرب والإلهام لا بطريق الحقيقة والحلول والاتحاد.

وهذا تفريط كبير في مقام التوحيد، وتهوين من شــأنه، وتيســير للتجرؤ عليه بدعاوى السُــكر وغَيبة العقل، وفتح لأبواب الزندقة والجرأة على مقام التوحيد والشرع بحجة التأويل وعدم القصد.

يقول شيخ الإسلام: " وهؤلاء موهوا على السالكين: التوحيد – الذي أنزل الله تعالى به الكتب وبعث به الرسل – بالاتحاد الذي سموه توحيدًا وحقيقته تعطيل الصانع وجحود الخالق"[٣].

---

[١] الإلهام عند الصوفية: "أنْ تحصل معارف جودًا وكرمًا من الله تعالى، وهي غير مضنون بها على أحد، ولكن إنما تظهر في القلوب المتعرضـــة لنفحات رحمة الله". إحياء علوم الدين (٨/٣)، ويعرفه ابن تيمية بأنه "تخايل يقع في القلب، فقد يكون ذلك من الله، وقد يكون من وسوسة الشيطان، وليس على أحدهما دليل يدل عليه، ولأن من يَّدعى الإلهام يمكن خصـــمه أنْ يدعى خلافه، فإنه إذا قال ألهمت بكذا، فيقول خصمه وأنا ألهمت بكذا، فكان العمل به عملاً بلا دليل، والإلهام لا يصلح حجة لإلزام الحكم على الغير". ابن تيمية، "درء تعارض العقل والنقل (ط٢، السعودية: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١١هـ – ١٩٩١م)، ٨: ٢٩.

[٢]شيخ بن محمد الجفري، "كنز البراهين الكسبية والأسرار الوهبية الغيبية لسادات مشايخ الطريقة العلوية الحسينية والشعيبية". (حضرموت – تريم: تريم للدراسات والنشر)، :١٥٦.

[٣] ابن تيمية، "مجموع الفتاوى"، ٢: ٤٦٤.

المطلب الثاني: استدلال المتصوفة بالحديث على الفناء.

القائلون بالقول السابق من المتصوفة قلة قليلة ، نظرًا لبشاعة القول وشناعته، لذا فقد اتجه غالبية القوم إلى الاستدلال بهذا الحديث على الفناء المطلق والاستغراق التام بين ذات الله وصفات الولي لتصيرا كذات واحدة.

يقول التفتازاني[١]: "السالك إذا انتهى سلوكه إلى الله وفي الله يستغرق في بحر التوحيد والعرفان، بحيث تضمحل ذاته في ذاته تعالى وصفاته في صفاته، ويغيب عن كل ما سواه ولا يرى في الوجود إلا الله تعالى، وهذا الذي يسمونه الفناء في التوحيد وإليه يشير الحديث الإلهي: أنَّ العبد لا يزال يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي به يسمع، وبصره الذي به يبصر، وحينئذ ربما تصدر عنه عبارات تشعر بالحلول أو الاتحاد؛ لقصور العبارة عن بيان تلك الحال وتعذر الكشف عنها بالمقال، ونحن على ساحل التمني نغترف من بحر التوحيد بقدر الإمكان، ونعترف بأن طريق الفناء فيه العيان دون البرهان والله الموفق"[٢].

والحقيقة أنَّ هذا ليس هو الفناء الشرعي لأن الفناء الشرعي هو: تحقيق شهادة أنْ لا اله إلا الله، فيشهد أنه لا خالق غيره، ويشهد أنه لا يستحق العبادة غيره، وهذا هو الفناء المأمور به الذي جاءت به الرسل وهو أنْ يفنى بعبادة الله عن عبادة ما سواه؛ وبطاعته عن طاعة ما سواه، وبالتوكل عليه عن التوكل على ما سواه، وبرجائه وخوفه عن رجاء ما سواه[٣].

ولا يجوز الاقتداء بأصحاب الفناء الصوفي "ولا حمل كلامهم وفعالهم على الصحة بل هم في الخاصة مثل الغافل والمجنون في التكاليف الظاهرة؛ .. ولهذا اتفق العارفون على أنَّ حال البقاء

---

[١] مسعود بن عمر التفتازاني، من متكلمي الأشاعرة، من مؤلفاته: شرح العضد، وشرح التلخيص، والتلويح على التنقيح في أصول الفقه، وشرح العقائد، توفي سنة (٧٩٢هـ). ينظر: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، "بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة". تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (لبنان: المكتبة العصرية) ٢: ٢٨٥، عبد الحي ابن العماد، "شذرات الذهب في أخبار من ذهب". (ط١، دمشق دار ابن كثير، ١٩٨٦م)، ٨: ٥٤٧.

[٢] مسعود بن عمر التفتازاني، "شرح المقاصد في علم الكلام". (دار المعارف النعمانية، ١٩٨١م)، ٢: ٧٠.

[٣] ينظر: ابن تيمية، "الرد على المنطقيين". ٥٢٠، ابن تيمية، "مجموع الفتاوى"، ٨: ٣٣٨.

أفضل من ذلك وهو شهود الحقائق بإشهاد الحق كما قال الله تعالى فيما روى عنه رسوله: ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه .. فإذا سمع بالحق ورأى به سمع الأمر على ما هو عليه وشهد الحق على ما هو عليه"[١].

ويقول أحمد الرفاعي[٢] لخادمه: "وأزيدك أنه لا تستقر نطفة في فرج أنثى إلا ينظر ذلك الرجل إليها، ويعلم بها، قال يعقوب الخادم: فقلت له: يا سيدي هذه صفات الرب جلا وعلا، فقال: يا يعقوب استغفر الله تعالى، فإن الله تعالى إذا أحب عبدًا صرفه في جميع مملكته، وأطلعه على ما شاء من علوم الغيب، فقال يعقوب: تفضلوا علي بدليل على ذلك، فقال سيدي أحمد: الدليل على ذلك قول الله عزَّ وجلَّ في الحديث القدسي: "ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به"، إلى آخره وإذا كان الحق تعالى مع عبده كما يريد صار كأنه صفة من صفاته"[٣].

ويقول أحمد سكيرج[٤]: "فإذا قال قائل إنَّ الولي هو خالق الوجود أو موجده أو نحو هذا مما هو خالص بالله تحقق المؤمن الحقاني بأن المراد بالولي هنا هو الله تبارك وتعالى، لأن الولي من أسمائه، وقد يلبس مطلق الأولياء من عباده حلة من حلل أنوار هذا الاسم، فيتصرف في الكون

---

[١] ابن تيمية، "مجموع الفتاوى"،١٠: ٣٤.

[٢] أحمد بن علي بن أحمد الرفاعي، صوفي أشعري، يعد من أقطاب الصوفية، وإليه تنتسب الطريقة الرفاعية، من مؤلفاته: الصراط المستقيم، المجالس الأحمدية، التحفة الرفاعية، توفي سنة (٥٧٨ هـ). ينظر: محمد بن أحمد الذهبي، "سير أعلام النبلاء". (ط٣، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م)، ٢١: ٧٧، صلاح الدين الصفدي، "الوافي بالوفيات". (بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م)، ٧: ١٤٣.

[٣] عبد الوهاب الشعراني، "لطائف المنن والأخلاق في وجوب التحدث بنعمة الله على الإطلاق". ، ٢: ٥٢.

[٤] أحمد بن الحاج العياشي سُكَيْرِجٌ، متصوف مغربي، من مؤلفاته: الوصية الشافية، الكوكب الوهاج، كشف الحجاب عمن تلاقى مع التجاني من الأصحاب، توفي سنة (١٣٦٣هـ). ينظر: محمد بن محمد الحجوجي، "فتح الملك العلام في تراجم بعض علماء الطريقة التجانية الأعلام". (بيروت: كتاب ناشرون، ٢٠١٨م)، :٢٧.

تصـرف مولاه الذي ولاه، بمقتضـى كنت سـمعه الذي يسـمع به، وبصـره الذي يبصـر به ويده التي يبطش بها، إلى آخر الحديث القدسي القاضي بهذا من غير تأويل"[١].

ويقول عبد الحق الدهلوي[٢]: "«لا يزال عبدي المؤمن يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش»[٣]، وهذا إنما يكون حالة الفناء لا غير، فتعمى عما سواه فلا ترى بغيره وجودًا. هذا كلامه الأقدس، وهو كلام تام شـــامل لجميع مراتب الفناء، لا كما يزعمه بعض القاصرين أنه مرتبة قرب النوافل وأدنى المراتب، فافهم. وبالله التوفيق، وهو يقول الحق ويهدي السبيل. وقوله: «فكنت سمعه. . . إلخ» يعني: ما يسمع شيئًا ولا يبصر شيئًا ولا يبطش شيئًا ولا يمشي إلى شيء إلا والحق سبحانه منظوره ومشهوده، على ما أشار إليه بعض العارفين بقوله: ما رأيت شـيئًا إلا ورأيت الله فيه أو معه أو قبله أو بعده على تفاوت الأحوال، وأول هذه المراتب العمل لامتثال أمر الله ونية التقرب إليه، وآخره الفناء في التوحيد، وإذا بلغ العبد هذه المرتبة يستجاب دعاؤه البتة بفنائه عن إرادته وتمحض عبوديته"[٤].

فهذ الأقوال هي في حقيقتها تمهيد للقول بالحلول والاتحاد، إذ تتضمن تبريراً صريحاً لأهلها ، وعدّ هذا الحال مشـهدًا من مشـاهد الفناء الكلي [٥]. وهو ما درج عليه أصـحاب الحلول والاتحاد، حيث استندوا إلى هذا الحديث في تأصيل مذهبهم الباطل."

---

[١]أحمد سكيرج، "الجواهر المنتشرة في الجواب عن الأسئلة الإحدى عشرة". ٣٦.

[٢]عبد الحق بن سيف الدين بن سعد الله الدِّهلوي، من مصنفاته باللغة العربية مقدمة في مصطلح الحديث، ثبت في مشايخه وأسانيده، توفي سنة (١٠٥٢ هـ). ينظر: الزركلي، "الأعلام"، ٣: ٢٨٠.

[٣] سبق تخريجه في المطلب الأول من المبحث الأول.

[٤]عبد الحق الدهلوي، لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح، (ط١، دمشق: دار النوادر، ٢٠١٤م)، ٥: ٣٧.

[٥] ينظر: ابن عطاء الله الإسكندري، "لطائف المنن". (القاهرة: مطبعة حسان، ١٩٧٤م)، : ١٠٣.

المبحث الثالث: مناقشة المخالفين في الاستدلال بحديث الولي على الحلول والاتحاد، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الفهم الخاطئ للحديث

فهم القائلون من المتصـــوفة من الحديث الامتزاج والحلول، وهو فهم خاطئ مخالف للفهم السليم الصحيح للحديث، يقول القاضي عياض: "«فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به» ولا ينبغي أنْ يفهم من هذا سوى التجرد لله والانقطاع إلى الله، والإعراض عن غير الله، وصفاء القلب لله، وإخلاص الحركات لله"[1].

ويقول ابن رجب: "المراد بهذا الكلام: أنَّ من اجتهد بالتقرب إلى الله بالفرائض، ثمَّ بالنوافل، قربه إليه، ورقاه من درجة الإيمان إلى درجة الإحسان، فيصير يعبد الله على الحضور والمراقبة كأنه يراه، فيمتلئ قلبه بمعرفة الله تعالى، ومحبته٠٠٠٠٠ فمتى امتلأ القلب بعظمة الله تعالى، محا ذلك من القلب كل ما سواه، ولم يبق للعبد شيء من نفسه وهواه، ولا إرادة إلا لما يريده منه مولاه، فحينئذ لا ينطق العبد إلا بذكره، ولا يتحرك إلا بأمره، فإن نطق، نطق بالله، وإن سمع، سمع به، وإن نظر، نظر به، وإن بطش، بطش به، فهذا هو المراد بقوله: «كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها»، ومن أشار إلى غير هذا، فإنما يشير إلى الإلحاد من الحلول، أو الاتحاد، والله ورسوله بريئان منه. "[2].

ويقول العثيمين: "من المعلوم أنَّ الحديث ليس على ظاهره، لأن سمع المخلوق حادث ومخلوق وبائن عن الله عزّ وجل، فما معناه إذن؟ قيل: معناه أن الإنسان إذا كان وليًّا لله عزّ وجل وتذكر ولاية الله حفِظَ سمعه، فيكون سمعه تابعًا لما يرضي الله عزّ وجلَّ، وكذلك يقال في بصره، وفي: يده، وفي: رجله. وقيل: المعنى أنَّ الله يسدده في سمعه وبصره ويده ورجله، ويكون المعنى:

---

[1] عياض بن موسى عياض، "الشفا بتعريف حقوق المصطفى". (عمّان: دار الفيحاء، ١٤٠٧هـ)، ١: ٤١٣.

[2] عبد الرحمن بن أحمد ابن رجب، "جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم". تحقيق شعيب الأرناؤوط، إبراهيم باجس، (ط٧، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م)، ٢: ٣٤٧١.

أن يُوفّق هذا الإنسان فيما يسمع ويبصر ويمشي ويبطش. وهذا أقرب، أنَّ المراد: تسديد الله تعالى العبد في هذه الجوارح"[1].

فهذا هو فهم السلف وأهل العلم للحديث من غير تحريف في تفسير ألفاظه، ولا شطط في فهم معانيه.

المطلب الثاني: الخلط بين الاتحاد الوصفي والاتحاد الذاتي

اشتبه على المستدلين بحديث الولي والقائلين بالفناء الصوفي الأمر، وخلطوا بين الاتحاد النوعي الوصفي الذي يشير إليه الحديث لأنه جعل معاداة عبده الولي معاداة له لاتفاقهما في النوع، وبين الاتحاد الذاتي الذي لا يدل عليه الحديث البتة.

يقول ابن تيمية في شرح الحديث: "وهذا اتحاد في المحبوب المرضي المأمور به والمبغض المكروه المنهي عنه، وقد يقال له اتحاد نوعي وصفي وليس ذلك اتحاد الذاتين فإن ذلك ممتنع والقائل به كافر، وهو قول النصارى والغالية من الرافضة والنساك كالحلاجية ونحوهم، وهو الاتحاد المقيد في شيء بعينه. وأما الاتحاد المطلق الذي هو قول أهل وحدة الوجود الذين يزعمون أنَّ وجود المخلوق هو عين وجود الخالق فهذا تعطيل للصانع وجحود له، وهو جامع لكل شرك، فكما أنَّ الاتحاد نوعان فكذلك الحلول نوعان: قوم يقولون بالحلول المقيد في بعض الأشخاص، وقوم يقولون بحلوله في كل شيء وهم الجهمية الذين يقولون إن ذات الله في كل مكان وقد يقع لبعض المصطلمين [2] من أهل الفناء في المحبة أنه يغيب بمحبوبه عن نفسه وحبه ويغيب بمذكوره عن

---

[1] محمد بن صالح العثيمين، "شرح الأربعين النووية"، ٣٧٧.

[2] الاصطلام في اصطلاح الصوفية: "وجد غامر يرد على العقول فيسلبها ويستلبها بقوة سلطانه وقهره"، أي بمعنى الجذب الروحي و الاندماج في الطريقة. ينظر: معجم ألفاظ الصوفية، حسن شرقاوي، مؤسسة مختار، ١٩٨٧م، ص٤٩، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، محمد دهمان، دار الفكر المعاصر، (١٨).

ذكره، وبمعروفه عن معرفته وبموجوده عن وجوده، حتى لا يشـــهد إلا محبوبه فيظن في زوال تمييزه ونقص عقله وسكره أنه هو محبوبه"[١].

وفي هذا الكلام البديع لشيخ الإسلام ردٌ على أصحاب القولين سواء ممن استدل بالحديث على الحلول أو على الفناء.

ويقول أيضًـــا: "وهذا الحديث قد يحتج به القائلون بالحلول العام، أو الاتحاد العام أو وحدة الوجود، وقد يحتج به من يقول بالخاص من ذلك، كأشباه النصارى.

والحديث حجة على الفريقين، فإنه قال: من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب، فأثبت ثلاثة: وليًا له، وعدوًا يعادي وليه، وميَّز بين نفســـه وبين وليه، وعدو وليه، فقال: «من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب»، ولكن دلَّ ذلك على أنَّ وليه الذي والاه فصـــار يحب ما يحب ويبغض ما يبغض، ويوالي من يوالي ويعادي من يعادي، فيكون الرب مؤذنًا بالحرب لمن عاداه، بأنه معاد لله"[٢].

فاستدلالهم بالحديث على الوحدة والحلول فيه مخالفة للحديث الذي يذكر ثلاثة لا واحدًا.

كما أنَّ الحديث يذكر حب الله لهم بسبب قربهم منه جلّ وعلا، وهذا فيه ردٌ صريح واضح على من قال بالوحدة والاتحاد لأن فيه ذكر الله وذكر العبد، فكيف يقال للاثنين واحدًا؟![٣].

يقول ابن القيم: "ليس المراد أني كنت نفس هذه الأعضـــاء والقوى كما يظنه أعداء الله أهل الوحدة، وأنَّ ذات العبد هي ذات الرب تعالى الله عن قول إخوان النصـــارى علوًا كبيرًا، ولو كان كما يظنون لم يكن فرق بين هذا العبد وغيره، ولا بين حالتي تقربه إلى ربه بالنوافل وتمقته إليه بالمعاصـــي، بل لم يكن هناك متقرب ومتقرب إليه، ولا عبد ولا معبود، ولا محب ولا محبوب، فالحديث كله مكذب لدعواهم الباطلة "[٤]. ويقول الشـــوكاني: "فإن الحديث كله يرد عليهم فإن قوله:

---

[١]أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، "أمراض القلب وشفاؤها". (ط٢، القاهرة: المطبعة السلفية، ١٣٩٩هـــ)،: ٦٤.

[٢]أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، "الجواب الصـــحيح لمن بدل دين المســـيح". تحقيق علي بن حســـن، عبد العزيز بن إبراهيم، حمدان بن محمد، (ط٢، السعودية: دار العاصمة، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م)، ٣: ٣٣٥.

[٣] ينظر: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، "النبوات، (الرياض: أضواء السلف، ٢٠٠٠م)، ١: ٣٥٦.

[٤]ابن قيم الجوزية، "عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين". (ط٣، بيروت: دار ابن كثير؛ ١٩٨٩م) : ٤٦.

عادى لي وليا يرد عليهم؛ لأنه يقتضـــي وجود معاد ومعادي ومعادى لأجله. ويقتضـــي وجود موالى وموالي، ويقتضي وجود مؤذن ومؤذن ومحارب ومحارب، ومتقرب ومتقرب إليه وعبد ومعبود ومحب، ومحب وهكذا إلى آخر الحديث. فهو جميعه يرد على الاتحادية المتمسكين به من حيث لا يشعرون .. والحاصل أنَّ قول الاتحادية يقضي عقل كل عاقل ببطلانه ولا يحتاج إلى نصب الحجة معهم"[1].

فالحاصـل أنَّ حجة المسـتدلين بحديث الولي على الحلول والاتحاد منقوض بالحديث نفسـه، حيث توهموا منه الوحدة والاتحاد، إلا أنَّ الحديث يدل على خلاف ذلك تمامًا، كما هو مبيَّن في أقوال أهل العلم آنفة الذكر.

[1]محمد بن علي بن محمد الشوكاني، "ولاية الله والطريق إليها". (القاهرة: دار الكتب الحديثة): ٤١٩.

المطلب الثالث: مآلات قول المتصوفة

أولًا: وقوعهم في الغلو للأشخاص وتقديس البشر.

إنَّ المستدلين بحديث الولي وقعوا بهذا الفهم الحلولي الاتحادي في تعظيم ذوات الأولياء والمبالغة في تقديسهم، ووقعوا في ما وقع فيه النصارى قبلهم، يقول شيخ الإسلام: "كما في الحديث الصحيح: «لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به» الحديث، وكثير من المخطئين الذين ابتدعوا أشياء في الزهد والعبادة وقعوا في بعض ما وقع فيه النصارى من دعوى المحبة لله، مع مخالفة شريعته وترك المجاهدة في سبيله، ونحو ذلك ويتمسكون في الدين الذي يتقربون به إلى الله بنحو ما تمسك به النصارى من الكلام المتشابه، والحكايات التي لا يعرف صدق قائلها، ولو صدق لم يكن قائلها معصومًا فيجعلون متبوعيهم شارعين لهم دينًا، كما جعل النصارى قسيسيهم ورهبانهم شارعين لهم دينًا، ثمَّ إنهم ينتقصون العبودية ويدعون أنَّ الخاصة يتعدونها كما يدعي النصارى في المسيح والقساوسة، ويثبتون لخاصتهم من المشاركة في الله من جنس ما تثبته النصارى في المسيح، وأمه والقسيسين والرهبان"[1].

ثانيًا: مخالفة البداهة والعقل.

إذ أنَّ سمع الرب وبصره ليس كسمع العبد وبصره وصفاته، ولهذا "قال صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله تعالى في صفة الأولياء «فإذا أحببتُهُ كنتُ سمعَهُ الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به» ومن المعلوم بالضرورة أنَّ القوة الباصرة التي بها يرى الأشياء ليست هي الله تعالى"[2].

والحديث تصريح منه بالفرق من عدة نقاط منها:

---

[1] أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، "العبودية" ، (ط٧ المجددة، بيروت: المكتب الإسلامي، ٢٠٠٥م)، : ١١٩.

[2] أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، "بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية". تحقيق مجموعة من المحققين، (ط١، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٦هـ)، ٦: ٢٤٩.

–أنه قال «كنت سمعه الذي يسمع به» "ولم يقل: كنت سمعه فقط، من غير أنْ يقول الذي يسمع به، فقوله: كنت سمعه تشبيه وقوله: الذي يسمع به تنزيه"[١].

– أنه جعل معاداة وليه معاداة له ولم يجعل نفسه ذات وليه.

– أظهر أنَّ المتقرب إليه عبده والمتقرب ليس المتقرب إليه.

– ذكر السمع والبصر، وهذا صريح أنَّ الله تعالى ليس هو عين العبد وأعضائه

– قال لئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه ومن المعلوم أنَّ السائل المستعيذ ليس هو المستعاذ به، وفيه تصريح بأنه عبده ليس الرب جزءاً منه ولا صفة له، وأنه يُقبض ويموت ومعلوم أنَّ الله حي لا يموت، وهذا كله ينقض قولهم: الوجود واحد[٢].

ثالثًا: مخالفة إجماع المسلمين.

يقول ابن تيمية: "ولهذا اتفق أئمة المسلمين على أنَّ الخالق بائن عن مخلوقاته ليس في مخلوقاته شيء من ذاته ولا في ذاته شيء من مخلوقاته بل الرب رب والعبد عبد"[٣]. ويقول الصديقي "وزعم الحلولية والاتحادية بقاء هذا الكلام على حقيقته وأنه تعالى عين عبده أو حالّ فيه ضلال وكفر إجماعًا"[٤].

---

[١]عبد الغني النابلسي، "جواهر النصوص في حل كلمات الفصوص". ١: ٤٧٨.

[٢]ابن تيمية، "بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية"، ٦: ٢٦٧ باختصار.

[٣]ابن تيمية، "مجموع الفتاوى"،٢: ٣٤٠.

[٤] ابن علان، "دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين"، ٢: ٣١١.

الخاتمة (النتائج والتوصيات)

أولًا: النتائج.

١- حديث الولي هو الحديث القدسي الوارد في صحيح البخاري وغيره، ونصه: «إِنَّ اللهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ... ».

٢- الحلول والاتحاد يعني أنَّ الله سبحانه وتعالى قد حلّ في جميع أجزاء الكون .. أو بمعنى أنَّ المخلوق عين الخالق.

٣- اعترف المتصوفة بافتتانهم بهذا الحديث واشتباهه عليهم، واستدلال بعضهم به على الحلول والاتحاد، ومنهم من استدل به على الفناء الصوفي.

٤- فهم القائلون من المتصوفة من الحديث الامتزاج والحلول، وهو فهم خاطئ مخالف للفهم السليم الصحيح للحديث.

٥- اشتبه على المستدلين بحديث الولي الأمر، وخلطوا بين الاتحاد النوعي الوصفي الذي يشير إليه الحديث، وبين الاتحاد الذاتي الذي لا يدل عليه الحديث البتة.

٦- الاستدلال بالحديث على الحلول والاتحاد أوقعهم في الغلو في الأشخاص وتقديسهم، ومخالفة الإجماع والعقل.

ثانيًا: التوصيات.

١- أوصي الباحثين بالتوسع في دراسة الحديث دراسة عقدية.

٢- كما أوصي الباحثين بالرد على بقية شبهات المتصوفة التي يستدلون بها على الحلول والاتحاد كاستدلالهم على وحدة الوجود بحديث «لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر»[1].

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الألفاظ ، باب النهي عن سب الدهر، (٤/ ١٧٦٣)، برقم: (٢٢٤٦).

المصادر والمراجع

١- ابن العماد، عبد الحي بن أحمد. "شـــذرات الذهب في أخبار من ذهب". تحقيق محمود الأرناؤوط. (ط١، دمشق – بيروت: دار ابن كثير، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م).

٢- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد الســـلام. "النبوات". تحقيق عبد العزيز بن صـــالح الطويان. (الرياض: أضواء السلف، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م).

٣- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. "الجواب الصـحيح لمن بدل دين المسـيح". تحقيق علي بن حسن، وآخرون. (ط٢، السعودية: دار العاصمة، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م).

٤- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. "الرد على المنطقيين". (د. ط، بيروت: دار المعرفة).

٥- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. "العبودية". تحقيق محمد زهير الشـــاويش. (ط٧ ، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م).

٦- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. "أمراض القلب وشـفاؤها". (ط٢، القاهرة: المطبعة السـلفية، ١٣٩٩هـ).

٧- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. "بيان تلبيس الجهمية في تأســـيس بدعهم الكلامية". تحقيق مجموعة من المحققين. (ط١، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد ، ١٤٢٦هـ).

٨- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. "درء تعارض العقل والنقل". تحقيق محمد رشاد سالم. (ط٢، السعودية: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١١هـ – ١٩٩١م).

٩- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. "مجموع الفتاوى". تحقيق عبد الرحمن بن قاســـم. (د. ط، المدينة النبوية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م).

١٠- ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد. "الإحســـان في تقريب صـــحيح ابن حبان". ، تحقيق شعيب الأرنؤوط. (ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م).

١١- ابن حجر، أحمد بن علي. "فتح الباري شـــرح صـــحيح البخاري". (بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ).

١٢- ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد. "جامع العلوم والحكم في شـرح خمسـين حديثا من جوامع الكلم". تحقيق شعيب الأرناؤوط. (ط٧، بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١م).

١٣- ابن شـاكر، محمد بن شـاكر. "فوات الوفيات". تحقيق إحسـان عباس. (ط١، بيروت: دار صادر، ١٩٧٤م).

١٤- ابن عربي، محمد بن علي. "الفتوحات المكية". (مصدر إلكتروني).

١٥- ابن علان، محمد علي بن محمد. "دليل الفالحين لطرق رياض الصـالحين". اعتنى بها خليل مأمون شيحا. (ط٤، بيروت: دار المعرفة ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م).

١٦- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي. "معجم مقاييس اللغة". تحقيق عبد السلام محمد هارون. (دمشق: دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).

١٧- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. "عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين". (ط٣، دمشق - دار ابن كثير؛ المدينة المنورة: مكتبة دار التراث، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م).

١٨- ابن منظور، محمد بن مكرم. "لسان العرب". (ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ).

١٩- أبو العلاء عفيفي. "التصـوف: الثورة الروحية في الإسـلام". (المملكة المتحدة، مؤسـسـة هنداوي، ٢٠٢٠م).

٢٠- الأزهري، محمد بن أحمد. "تهذيب اللغة". تحقيق محمد عوض مرعب. (ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م).

٢١- الأشـعري، علي بن إسـماعيل بن إسـحاق. "مقالات الإسـلاميين واختلاف المصـلين". عناية هلموت ريتر. (فيسبادن: دار فرانز شتايز، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م).

٢٢- البخاري، محمد بن إسماعيل. "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسـلم وسـننه وأيامه = صـحيح البخاري". تحقيق محمد زهير. (ط١، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ).

٢٣- البزار، أحمد بن عمرو. "مسـند البزار المنشـور باسـم البحر الزخار". تحقيق محفوظ الرحمن زين الله وآخرون. (ط١، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ٢٠٠٩م).

٢٤- البيهقي، أحمد بن الحسين. "السنن الكبير". تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي. (ط١، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م).

٢٥- التفتازاني، مسعود بن عمر. "شرح المقاصد في علم الكلام". (دار المعارف النعمانية، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م).

٢٦- الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف. "التعريفات". ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٣م).

٢٧- الجفري، شيخ بن محمد. "كنز البراهين الكسبية والأسرار الوهبية الغيبية لسادات مشايخ الطريقة العلوية الحسينية والشعيبية". (حضرموت تريم للدراسات والنشر).

٢٨- الحبشي، عبد الله بن محمد. "مصادر الفكر الإسلامي في اليمن". (أبو ظبي: المجمع الثقافي، ٢٠٠٤م).

٢٩- الحجوجي، محمد بن محمد. "فتح الملك العلام في تراجم بعض علماء الطريقة التجانية الأعلام". (بيروت: كتاب ناشرون، ٢٠١٨م).

٣٠- الحفني، عبد المنعم. "المعجم الصوفي". (ط١، القاهرة: دار الرشاد، ١٤١٧هـ).

٣١- الدهلوي، عبد الحق بن سيف الدين. "لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح". تحقيق وتعليق تقي الدين الندوي. (ط١، دمشق: دار النوادر، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م).

٣٢- الذهبي، محمد بن أحمد. "سير أعلام النبلاء". تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرنؤوط. (ط٣، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م).

٣٣- الزركلي، خير الدين. "الأعلام". (ط١٥، بيروت: دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م).

٣٤- سكيرج، أحمد. "الجواهر المنتشرة في الجواب عن الأسئلة الإحدى عشرة".

٣٥- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. "بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة". تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. (لبنان: المكتبة العصرية،).

٣٦- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. "معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم". تحقيق محمد إبراهيم عبادة. (ط١، القاهرة: مكتبة الآداب، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م).

٣٧- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر ، الحاوي للفتاوى، (بيروت، دار الفكر، ٢٠٠٤).

٣٨- الشعراني، عبد الوهاب بن أحمد. "لطائف المنن والأخلاق في وجوب التحدث بنعمة الله على الإطلاق".

٣٩- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد. "ولاية الله والطريق إليها". تحقيق إبراهيم إبراهيم هلال. (القاهرة: دار الكتب الحديثة).

٤٠- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك. "الوافي بالوفيات". تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى. (بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م).

٤١- العثيمين، محمد بن صالح. "شرح الأربعين النووية". (دار الثريا للنشر).

٤٢- عزيزي، عبد القادر بن عبد الله. "حقائق عن التصوف". (ط١٦، حلب: دار العرفان، ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م).

٤٣- عطاء الله الإسكندري. "لطائف المنن". تحقيق عبد الحليم محمود. (القاهرة: مطبعة حسان، ١٩٧٤م).

٤٤- العطاس، عبد الله بن علوي. "ظهور الحقائق في بيان الطرائق". (مخطوط).

٤٥- عياض، عياض بن موسى. "الشفا بتعريف حقوق المصطفى". (ط٢، عمّان: دار الفيحاء، ١٤٠٧هـ).

٤٦- العيني، محمود بن أحمد. "عمدة القاري شرح صحيح البخاري". (بيروت: دار إحياء التراث العربي).

٤٧- الغزالي الطوسي، محمد بن محمد. "المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى". تحقيق بسام عبد الوهاب الجابي. (قبرص: الجفان والجابي، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).

٤٨- الغزالي، محمد بن محمد. "إحياء علوم الدين". (د. ط، بيروت: دار المعرفة).

٤٩- الغزي، محمد بن محمد. "الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة". تحقيق خليل المنصور. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).

٥٠- القاري، علي بن محمد الملا. "شرح الشفا". (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ).

٥١- القاري، علي بن محمد نور الدين. "مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح". (ط١، بيروت: دار الفكر، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م).

٥٢- القسطلاني، أحمد بن محمد بن أبي بكر. "إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري". (ط٧، مصر: المطبعة الكبرى الأميرية، ١٣٢٣هـ).

٥٣- كحالة، عمر رضا. "معجم المؤلفين". (بيروت: مكتبة المثنى، دار إحياء التراث)

٥٤- الكسنزان الحسيني، محمد بن الشيخ عبد الكريم. "موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان". (دمشق: دار المحبة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م).

٥٥- المباركفوري، عبيد الله بن محمد. "مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح". (ط٣، بنارس الهند: إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء، الجامعة السلفية، ١٩٨٤م).

٥٦- المحبي، محمد أمين. "خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر". (بيروت: دار صادر).

٥٧- النابلسي، عبد الغني. "جواهر النصوص في حل كلمات الفصوص".

٥٨- النووي، يحيى بن شرف. "المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج". (ط٢، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢هـ).